ناضجة بين الضلال

للكاتبة: رولا كوراني

الكتاب: ناضجة بين الضلال

ناضجة بين الضلال

المقدمة:

عزيزي القارئ لربما جئتك بطابع مــِن الواقع لتدرك بأن اللّـه يهدي مــِن يشاء حتى وإن كان تائه في ضياع فالله غفور رحيم، أن تكون الشخص المستقيم هذآ بحد ذاته جهاد نفسي فقد تحاول الاستقامة رغم الاعوجاج لكن النهايات دائماً للصحيح وغالباً للأجمل إن كنّا نسعى.

لنتقبل حقيقتنا ونكون فخورين بأنفسنا فلا أظن أن الماضي قيود لأحلامنا.

الإهداء:

- لكل فتاة علمت قدر نفسها ولكل فتاة لجأت إلى اللّـه.. إلى كل فتاة كانت مصرة على الهداية.

(البدايات)

- هكذا هي الحياة تضعنا بين الكثير من الاحتمالات لنضيع بها لَـكِنْ فعلاً التغيير يصنع مـنك ناضجاً لا يتيه.

كانت فتاة غريبة الأطوار رغم الاعوجاج في حياتها كانت مستقيمة كانت لطيفة جداً رغم قساوة بيئتها، في السابعة من عمرها توفى والدها وكان الخبر صادماً جداً كانت وحيدة أبويها إذ أن أمها لم تكن متزوجة من أبيها سوى عشرة أعوام علـى التوالي وكان السبب لعدم إنجابها الطفل الثاني هي كثرة المشكلات العائلية في المنزل.

"طيف " هي الطفلة التي كانت كالإسفنج تأخذ كل الآلام دون طرحه.

فكيف ل طيف العيش؟

(محادثات)

ضجيج يعم بين الكثير من النساء كانوا أشقاء " نينا " والدة طيف

وفي ذلك الوقت كانت طيف مستلقية علـى سريرها تقول لنفسها

- عجباً كم اشتقت لـك يا أبي فأنا كنت أكره جداً تلك المشكلات

بينكما أنت وأمي بسبب الفقر لَـكِنْ كنت الجانب الجميل في حياتي

عجباً كيف عليّ العيش؟

عمّ الصمت في رأس طيف لتقرع كلمة عليكِ الزواج في أذنيها..

تنهض مسرعة وتقف خلف الحجرة لتسمع خالتها تقول:

- نينا عليكِ الزواج كفى حزناً أنتِ لم تكوني تحبينهُ من الأساس

تزوجي واستمري في حياتك.

(تغيرت)

بضعة أيام..

رأتْ والدتها تضع أحمر الشفاه وترتدي أجمل الثياب.. ذهبت إليها طيف لتقف أمامها متعجبة**!**

- هل انتهى حزنك؟

=أجل.. مضى علـى وفاته الكثير

- أنسيتيه؟

= لم أكن أحبهُ لأكون المضحي

- لماذا بقيتِ معه إذاً؟

= أخاف عليكِ من الضياع

- وإلى أين الآن؟

= لدي موعد مهم.. اذهبي إلى حجرتكِ.

مضتْ طيف وهي شاردة.. لماذا! يا أمي.....

أسبوع كامل تسمع والدتها تقول لشقيقتها

- بضعة أيام وستتم الخطبة

أقفلت الهاتف.. لتأتي إليها طيف بسرعة وتنطق بلهفة.

- مَنْ.. مَنْ؟

= ما بك عن مَنْ تتحدثين؟

- مَنْ ستتم خطبته قريباً؟

= والدتكِ

- هل جُننتِ ما حل بكِ فجأة.. لماذا !!

= يجب علينا العيش

- لن تعيشي إلا إذا تزوجتِ؟

= نريد من يأوينا

- نحن مكتفين بأنفسنا

حاولت منعها وعملت هي وأمها ليأكلا لقمة العيش رغم صغر سنها إلا أنها كانت تعمل في الأشغال اليدوية لَكنْ النهاية لا جدوى..

أتى نهاية الشهر ليقرع الباب فجأة..

طيف: منْ؟

- صاحب المنزل

= ما بك؟

- الَّيَوُمً عليكم دفع ثمن إيجار الحجرة

صُعقت طيف! الَّيَوُمً؟

- أجل

= هل لـك بإمهالنا حتى يوم غد؟

- غداً فقط

= أمرك

ذهب صاحب المنزل.. جلست تبكي.. ما عليَّ فعله أرشدني يا اللّـه..

جاءت نينا

- ما بكِ؟

ردت طيف وروت كل ما جرى

بضع ساعات تتصل شقيقة نينا

- أهلا ديلا

= اهلا نينا

أخبرت شقيقتها بكل شيء أجابت ديلا

- سأحاولُ مساعدتكِ

بضع ساعات وعاودت الاتصال

- أخبريني هل تستطيعين دفع الإيجار لنا؟

= سأعرض عليكِ عرض

- موافقة؟

= اسمعي قبل الموافقة..

هناك رجل أعمال طلب مِني أن أقول لكِ أنه سيدفع لكِ ثمن الإيجار وزيادة على ذلك مهر كثير وحياة كريمة لكِ ولطيف وستكونين ملكة.

- وماذا يريد بالمقابل؟

= الزواج منك

- لا أعلم ماذا أفعل وطيف

= هذه كل الحلول

- لماذا أنا؟

= لا ينجب الأطفال ومعه الكثير من الأموال ويريد فتاة حسناء مثلك.

- وكيف علم أنه لا ينجب؟

- كان متزوج قبل ذلك

- أين زوجته؟

= تركته وذهبت فهي تريد ولداً وهو لا ينجب

= اغلقي الهاتف سأكلمكِ لاحقاً

جلست تبكي كيف عليها أخبار طيف

- ما بكِ يا أمي؟

= هناك حل وحيد

- ما هو؟

أخبرت طيف بكل شيء

- ما من حل آخر؟

= لا

أومأت طيف بأنها موافقة وغادرت الحجرة.

اتصلت نينا بشقيقتها لتخبرها بأنها موافقة

- لكنْ غداً دفع الإيجار

= لا تهتمي

في الَّيَوم التالي

قُرع الباب فتحت نينا وإذ بديلا بصحبة رجل طويل القامة عريض الكتفين واسع العينين يشابه عمره بأل 35 عام تقريبا

ديلا: هل ندخل؟

- أجل أجل اهلاً بكم

= أنه تميم

- اهلاً بك

تميم: لم أتوقع أنكِ بهذا الجمال

- شكراً

= علينا الَّيَوُمَ الذهاب لنعقد القرآن ثم أدفع ثمن الإيجار ولنذهب لنعيش في قصري

- لما العجلة!

= لا أريد التأخر أبداً

نادت نينا طيف لتدخل إلى الغرفة نظرت إليه قائلة وهي شاردة بنفسها.. لا يشبه ابي أبداً وقد بكون بمثابة اثنين

- تميم: أنتِ طيف

= أجل

نينا روت لطيف ما اقترحهُ تميم

اختنقت طيف بنفسها وأومأت بأنها موافقة

تميم: لنبدأ بالإجراءات إذاً

لقد عقد القرآن سريعاً حتى أخذهم لمنزله في أسرع وقت..

(هل فرجت؟)

بعد أسبوع من الأيام شبيه خيرة عليهم.. عاد إليكم في الليل قرع الباب ففتحت نينا كان سكيراً يهلوس بكلمات غير مفهومة صرخ بوجه نينا..

- اغربوا عن وجهيي أوغاد أوغاد

نام علـى الأريكة جلست نينا تبكي وتقول لا كمال للحياة

في الَّيَوُمً التالي: استيقظ تميم يصرخ نينا نينا

- أجل لقد جئت

= أنا متعب

- ماذا عليَّ أن أفعل؟

= اذهبي وحضّري لي الحمام والطعام أنا منهك.

لقد فعلت هذا نينا علـى أكمل وجه وبعد الانتهاء من عملها خرج من الحمام وتناول طعامه

- اجلبي لي وعاء مملوء بالماء الساخن

- أمرك

- ضعي قدماي ونظفيهم جيداً

- أنا؟

- صرخ بوجهها: هل ترين أحد غيرك هنا؟

- أمرك أمرك

(خادمة أصبحت)

- تميم: طيف طيف

استيقظت طيف على صراخ تميم

- ما بك؟

= تعالي إلى هنا

" وقفت أمامه كان بيده قارورة من الخمر " **(بيرة)**

- تذوقي

= لا أحبه

- صرخ بها: تذوقيه

= صرخت به: لا أريد

نهض وصفعها علـى وجهها لتسقط أرضاً وهي تبكي

ركضت نينا

- ما بك ماذا جرى؟

= الوغدة لم ترشف من الخمر ولم تنصت لأوامري

أخذت نينا قارورة من الخمر وبدأت ترشف من هذا تشرب وتشرب

ثم قالت:

- أفعل بي ما تريد لكن أرجوك لا تقترب من طيف سأفعل ما تريده

مِني

- اغربوا عن وجهي واجلبي قارورة اخرى

- أمرك

حملت ابنتها وصعدت بها لسريرها قائلة

- علينا التحمل.. اصبري عزيزتي

لم تتوقع طيف المنازلة عن كل شيء لأجل المال أو لأجله

أمضت أعوام وهي على ذات الحال يأتي يوم سكير ويوم فاقد للوعي كان يقصد المقاهي الليلية دائماً ليعود أحياناً بصحبة من النساء العاهرات اللعنة عليه.

أصبحت طيف تبلغ من العمر 15 عام

وهي في كل مرة ترفض ما يريد لتفعله والدتها عنها حتى في يوم من الأيام

- طيف

= ما بك؟

- تعالي

= قل

نظر إليها نظرة مليئة بالخبث الشيطاني

- أحدهم يرغب في شراءك لعدة ساعات مقابل الكثير من المال ليلة واحدة فقط

وابتسم لتظهر الملامح الخبيثة في وجهه..

لم تستطيع التحمل حتى بصقت عليه قائلة

- اللعنة عليك يا لـك من وغد حقير

اندفع اتجاهها بهجوم يريد ضربها وإذ تسمع صوت نينا اهربي يا طيف ركضت مسرعة اتجاه الباب وهربت خارج المنزل.

مرت بضع دقائق وطيف تهرول باستهتار تتخبط بالأشخاص مشيرة لهم بالمعذرة حتى تعبت من الهرولة توقفت واستدارت للخلف لم ترى أحداً وبات قصر تميم بعيداً جداً بدأت تسير مطأطئةَ الرأس تجر معها جميع الخيبات تنظر من حولها تائهة لا تعلم إلى إين عليها الذهاب كالضائع بين الذئاب وتقول بنفسها..

- تباً.. تباً لتلك الحياة جعلتني عبرة لمن لا يعتبر إلى أين الذهاب إلى أين الرحيل.. ماذا فعلتي بنا يا أمي؟ وضعتني في الهاوية خوفاً عليّ من الحياة القاسية.

بدأ حلول الليل وبدأت الشمس بالغياب تنظر من حولها لترى عيون الناس تخبئ نظرات خبيثة كانت تشعر وكأنها الوليمة للجياع تحاول الهروب بمتاهة ليس لـها نهاية.. حل الليل وكانت الشوارع تضج بالأذان لقد كانت صلاة العشاء.. رأت القليل من الناس يتجه نحو مئذنة طويلة راودها الفضول لتعرف إلى إين ذاهبون. اتبعتهم رأت بعض الأشخاص يخلعون أحذيتهم فخلعت حذاءها ودخلت معهم..

وإذ يقف أمامها رجل مسن له لحية بيضاء يرتدي ثوب أبيض طويل قال لها..

- لا يجوز دخول النساء

= لماذا؟

- هذآ القسم مخصص للرجال فقط

= لا يوجد مكان للنساء

- ماذا تريدين؟

= أريد المأوى

- قف هنا لبضعة دقائق وبعد انتهاء الصلاة سآتي إليك

= حسناً

اختبأت جانباً ترى الجميع يقفون ويسجدون وفي نفس الوقت ومع بعضهم تضجُّ بينهم كلمة اللّـه أكبر..

انتهت الصلاة وخرجت الناس بشكل متباطئ جاء الرجل المسن

- تفضلي معي

تبعته وهي مندهشة تماماً بجمال المسجد تسير خلف العجوز وهي منبهرة

- اجلسي

جلسا معاً

- أخبريني ما الذي جاء بكِ إلى هنا.. أنا الشيخ عبد الله

= وأنا أدعى طيف.. توفى والدي

- لا مأوى لكِ؟

= لا أقارب لا مأوى لا ثياب لا طعام.. أنا جائعة

- نرحب بكِ في بيت اللّـه

= شكراً لك

- أنتِ مسلمة؟

= أجل

- هل تعرفين فروضك؟

= لم تخبرني والدتي عن هذا الأمر

- لا عليكِ.. اتبعيني

وقفا أمام غرفة وقرع الباب فتحت انا امرأة جميلة القوام

- أهلاً

= هذه ضيفتنا اهتمي بها لأعود وأخبركِ ما القصة

- أمرك أخي

دخلا طيف والامرأة إلى الغرفة الصغيرة

= ما اسمكِ؟

- أدعى طيف.. وأنتِ؟

= أدعى تراتيل... تعالي لنأكل

أكلا سوياً واستحمت طيف وجلست جاء الشيخ عبد الله وبدأ بالتكلم

- ستكونين ضيفتنا دائماً

= أشكركم جداً

- لا شكر أنه بيت اللّـه

(علمتني)

استيقظت طيف ما يقارب الساعة 5 فجراً لترى تراتيل تنهض وتجلس وهي مرتدية ثوب أبيض يغطي جسدها كله.. انتهت تراتيل اتنظر إلى طيف

- ماذا تفعلين؟

= أصلي صلاة الفجر

- ما معنى هذا؟

أخبرتها بأنها فروض 5 تنهي عن الفحشاء والمنكر وأخبرتها عن فروضها وكيف يجب أن تضع حجابها وعن قراءة القرآن وأركان الإسلام..

اندهشت طيف ثم نطقت بعد سكوت دام لدقائق

- كنت أعلم ببعض من هذه المعلومات لكني لا أذكرها علمني والدي الصيام في شهر رمضان حتى أنه كان يقرأ القرآن لكني لا أذكر هذه التفاصيل أبداً كنت أتبع أمي اتمنى أن تكون ما زالت علـى قيد الحياة بعد هروبي..

= لا تخشي شيئاً ... لا تبالي كل يوم يمكننا التوبة وكل يوم بإمكاننا الرجوع إلى اللّـه.

كانت تراتيل صديقة جميلة تبلغ من العمر 20 عام

(عامين)

عامين علـى التوالي أصبحت طيف تبلغ من العمر 17 عام كانت قد تحجبت وارتدت ثوب واسع.. كانت تصلي فروضها كافة وتحاول حفظ القرآن.. كانت تحاول أن تبقى ثابتة كانت تقدم أوراقها للثانوية العامة لعلَّ وعسى تكمل دراستها كان مسجدها منزلها وتراتيل أمها وأختها وصديقتها وكل شيء.. كانت تراتيل تخاف عليها جداً وتجلس معها لساعاتٍ كي تدرّسها.

فقد كانت تراتيل تدرس الأدب العربي.. مرّت بعض الشهور ليكون قد حان وقت الامتحان

(امتحانات)

كانت تذهب تراتيل مع طيف ويعودوا سوياً

- لا أنام الليل يا تراتيل.. أفكر

= لماذا؟

- أخاف السقوط!

= بالامتحان تقصدين؟

- أجل

= لا تفكري بهذه الطريقة

اتكأت طيف علـى تراتيل ووضعت رأسها علـى كتف تراتيل

- أحبك جداً ولا أعلم كيف عليّ ردّ معروفكِ طوال السنين

= لا عليكِ اشغلي نفسك بأشياء أخرى

كانت طيف تدرس بجهد تريد تحقيق أمنيتها تريد التطور تريد ...

تريد كانت متعبة لَكنْ لا سعي دون نتيجة مفرحة.. بضع أيام لتتمّ

صدور النتائج الثانوية العامة طيف تقف بجانب الباب تبكي وتراتيل

تبحث عن النتيجة صوت الهدوء يعمّ ليقاطعه صوت تراتيل

- يكفي طيف يكفي

دقائق.. تك.. تك.. تك.. لتصرخ تراتيل بصوت مرتفع..

نااااااجححح..

مبارك لكِ عزيزتي

هرولت طيف وغمرت تراتيل

- أحبكِ جداً جداً

كانت لحظات رائعة حقاً

(محزن أم مفرح! ؟)

قرع الباب بعد صلاة العشاء

تراتيل: مَنْ؟

- عبد الله

فتحت الباب

- أُريدك بحديث ما.. جلسا وبعد أن رحَّبا وتكلما

- هناك أحد الشّبان طلبكِ مني علـى سُنَّة اللّـه ورسوله يعمل في مجال التجارة في بيع الاخشاب.. درس في كلية الاقتصاد وتخرج منها لكن لم يستطيع إيجاد عمل بشهادته عمره يتجاوز ال 28 عاماً

= أين رآني؟!

- كنتِ تسيرين مع أخته بالأمس فقد لمحكِ من بعيد

= من أخته؟

- "لا أدري أنه من عائلة"

= أجل.. أعرف أخته جيداً

- ما رأيك؟

صمتت قليلاً

= ما رأيك أنت؟

- لقد أعجبني كان محترماً جداً

= إذا لا مشكلة

- لكنه يرغب في عقد القران سريعاً

= لا مشكلة لنتجنب الحرام

- اتكلنا علـى اللّـه

= ونعم الاتكال

(أوراق مهمة)

ذهبت تراتيل وطيف ليسجلا في الجامعة فقد اختارت طيف.

قسم الإرشاد النفسي وفعلاً سجلت به وعادوا إلى المنزل بعدما مضى الوقت

- طيف: الأمر مفرح لقد كان حُلمي

= ألم أقل لكِ أن اللّـه لا يضيع تعب أحد

- ونعم بالله

= هل من المعيب أن أرفض أحد بعدما وافقت عليه

- أجل بالتأكيد لكن مَنْ؟

= أنه أحدهم تقدّم لخطبتي في الأمس

اختنقت طيف لكن أخفتْ ملامحها

- لما الرفض

= لا أريد أن اتركك وحيدة

- لا عليكِ

= سنجد حلاً

- بالتأكيد

بعد بضعة أيام بدأت طيف بالذهاب للجامعة وإكمال الدراسة بها...

كانت في كلّ مرة تحاول البحث عن أثر لأمها أو تحاول أن تعرف ماذا حلَّ بها لَـكن لا جدوى من ذلك.

(عقد القران)

جاء الَّيَوُمً التي باتت تراتيل مستعدة لتعقد قرانها مع رجل أُعجب بها وبكل تفاصيلها أراد أن يضمَّ قلبها لعائلة وأن يُكلّل إعجابه بحبَّ ينتهي بزواجها منه.

كانت تراتيل ترتدي ثوب أبيض طويل واضعة على رأسها أكليل من الورد الملون متناثر شعرها البني الطويل على أكتافها كانت تبدو وكأنها بستان في تورد الربيع.

ووجنتاها سبحان المعبود ورود بورود..

جميلة رقيقة عفيفة أعجاز بفتاة

عقد القران لتكون قد سُجّل قلبها باسمه وأصبح قلبه مُلكها وكان كل شيء علـى ما يرام جلست معه كان يدعى آدم كانت تحدثه وهي تستحي أن تنظر بوجهه.. فعلاً أن حياء المرأة جمال حدثتهُ عن

حياتها وكيف توفى والداها وعن أخيها عبدالله أخبرته بطيف حتى أنها ذرفتْ الدموع فجأة ليقول لـها

- ما الخطب ماذا جرى؟

= صعب جداً

- ما هو؟

= أن أفتقد طيف قبل الذهاب

صمت قليلا ليجيب

- صديقتكِ

= أجل بل أختي التي لم تنجبها أمي

- وجدتُ الحل لكن لا تحزني لا أريد أن أرى بحور الجمال على وجنتاكِ

= ما هو الحل؟

- هناك شقة مجاورة لمنزلنا

= أكمل

- للإيجار.. هناك من سيغادرون منها بغرض السفر

= أجل نريدها

ابتسم ابتسامة كانت ترسم على وجهه البهجة وقال لـها

- أمركِ مولاتي..

(إنه الحل)

أخبرت تراتيل طيف بكل ما جرى وكادت طيف أن تحلف من شدة الفرح كانت تقول طيف بشرود

اللّـه يحبني.. أجل أشعر أن اللّـه يحبني يجعل لي من كل ضيق مخرجاً يوقفني ويرحمني دائماً لقد أرشدني إليه لأعود وأكون بين يديه خاضعة..

أحب اللّـه.. لأنني عبدتهُ المظلومة لأنني كنتُ في كل مرة ألجأ إليه لا يرّدني خائبة.. الحمد لله أقترب موعد زفاف تراتيل لتكون لآدم الذي اختارها من بين الأرض لتكون ملكة المدللة

وحان موعد زفافها فعلا لتكون له..

(الذهاب لمجاورة الشقيقة)

بضعة أيام.. أخبرها عبد الله أن عليها أن تستعدّ لتذهب إلى منزلها المجاور لمنزل تراتيل.. ولقد كانت الليلة الأخيرة في المسجد.. في الليل اتكأتْ على الجدران تقول لنفسها وهي تذرف الدموع بشدة..

الآن.. الآن علمتْ لماذا تراتيل وعبدالله جعلوا من المسجد مسكن لهم مع أن منزلهم في أفضل منطقة في المدينة علمت لماذا أغلقوا منزلهم وجلسوا في المسجد.. إنه أكثر الأماكن راحةً لقد جعل مني فتاة عفيفة تحبّ اللّـه جعل مني روح خلقية.. لن أنسى معروف تراتيل معي.. الحمد لله يا اللّـه بعثت لي من يثبتني على دينك.. وكان الكرى أن يداعب عينيها اللطيفة لتغرق في نوم عميق...

استيقظت طيف صباح اليَوُمَ التالي وقامت بتوضيب متاعها والذهاب إلى شقة تراتيل قرعت الباب ففتحت تراتيل

تراتيل: طيف اشتقت إليكِ

غمرتها وبدأت تقبيل وجنتاها

- أنا وأنا أيضاً

أخذت مفتاح الشقة من تراتيل ودخلت إلى شقتها

(شهراً مضوا 24)

مضى عامين على طيف كانت قد ترّفعتْ للسنة الثالثة في قسم الارشاد النفسي كانت تتعمق في مجالها يوم بعد يوم..

أن تعشق التطور في دراستها شي جميل لتكون قد أبدعت في مجالها يوماً ما.. لمن أراد الحياة فليتعلم من طيف الجهد دائماً عنوان النجاح إلى إين ستصل طيف ..؟

تجلس تراتيل بمفردها تدون ما قد مضى من عمرها.. في إحدى الأسطر تقول بهما

لم تكن مجرد فتاة عادية سحرتني منذ قدومها إلينا..

أيكون لي شقيقة دون أم؟

كانت أقرب إليّ من وريدي والله إني أحبها في اللّـه تعلقت بها ولربما كانت كل حياتي.. طيف مرت علـى قَلبي لتأخذ منه قطعة وتمضي

والآن أضفتها لدفتر جديد دفتر الجيران المجاورة.. لقد كان اسمها مسّجل في دفاتر قلبي دفتر الأشقاء والأصدقاء والزملاء والعائلة والآن الجيران.. أخذت كل عقلي.. طيف أحبك جداً لقد انتهت تراتيل من كتابتها عن طيف لربما كانت تحبها جداً...

قرع الباب

تراتيل: مَنْ؟

- ومن أكون يا ترى؟

فتحت الباب

تراتيل: رفيقة العمر أطيافي

طيف: جئتكِ ببعض الأخبار

فلتقولي إذاً

- نحتسي القهوة أولاً

= اتفقنا

جلسا معاً بدأت طيف الحديث

- انضممت لجمعية خيرية

= لماذا وأين؟ أخبريني تشوقت

- جمعية كانت تريد مرشدة نفسية شبه ماهرة قدَّمتُ نفسي فقبلوني متطوعة معهم

= ما هو عملك؟

- جمعية تساعد المسنين علـى من يجلس معهم ويكلمهم ويسمع منهم

= لَكنْ كيف قبلوكِ مازلتِ طالبة؟

- يريدون فقط من يرشد المسنين ويسمعهم ولم يجدوا سواي

= مجاناً

= أجل.. لله

= وفقكِ الله وجعل من خطاكِ سلام

- أنتِ أجمل أشيائي حقاً

(عملي المتعة كلها)

- كانت رغم تعبها تعود إلى المنزل فرحة جداً

دوَّنت علـى إحدى أوراقها..

- مساعدة الآخرين نعمة أيضاً.. جذب الثواب للنفس مجاناً.. فعلاً إنَّ هذا عظيم.. ربما اللّـه يحبني.. في كل مرة يرشدني لأكون في ثباتٍ.. لأجمع الثواب ربما يريد أن يُريني جنّته وأنا أيضاً يا اللّـه أحبك جداً وجداً..

(نظرات مجهولة)

تراتيل: من هو يا طيف؟

- احدهُنَّ لا أعرف من هو ينظر إليَّ دائماً وحين تصبح عيني بعينه يستدير

= ما معنى تلك النظرات؟

- لا أعلم

= لا تخشي شيئاً لربما

- لربما ماذا؟

= يُراقبكِ مثلاً

- ولماذا يراقب؟!

= لربما يدرس عملك إذا كان صحيحاً

- لا أظن

= لعله خير

- بأذن اللّـه

.....

تجلس طيف مع إحدى فتيات الجمعية ليدخل الشخص ذاته الذي

ينظر إلى طيف باستمرار يقفون جميعهم بترحيب به

- أهلاً سيد جوان

- أهلاً بكم.. هناك اجتماع بعد ساعة أريد الجميع بالحضور

- أمرك سيد جوان

يمضي جوان.. لتسأل طيف باستغراب

- مَنْ يكون؟

تجيب إحداهن

= إنه السيد جوان

- علمت هذا أقصد من يكون ما السلطة؟

= إنه مؤسس الجمعية ومديرها لكنه لا يأتي دائماً

- امم

عادت إلى منزلها وقبل دخول لشقتها وقفت وتحدثت مع تراتيل عمَّ حدث

- أظنُّ أن توقُّعاتي صائبة

= أجل

- أخبركِ بشيء؟

= ما هو؟

- سأصبح أماً

= تمزحين

- لا والله وإني أقول الصدق

ضمّتْ طيف تراتيل وهي تقبلها قائلة سأصبح خالة

= أجل يا صديقة الدرب

عادت لمنزلها لتدون مذكرّاتها على الفور

- آمل أن أعرف ما هي سبب نظراتك تلك وأن تـصبح تراتيل أفضل أم على الإطلاق

(رسالة مجهولة)

عادت طيف بعد يوماً طويلاً متعبة جداً لتخلع ملابسها وترتدي ثياب المنزل تحمل حقيبتها لتسقط منها رسالة كان يكتب عليها الكلمات

ابتدأت بالقراءة..

- لم تكوني مجرد فتاة عابرة أردت أن أحادثكِ مرارةً وتكراراً كنتُ خائف من ردود الأفعال أعلم أنكِ تفكرين من أنا ومن أكون لكن لن تعرفيني عزيزتي.. سحرتُ بأسلوبك ولباقتكِ أردت أن أعترف لكِ بأن حجابك حقاً يظهركِ گ عفيفة رائعة.. سأقول لكِ أنني مجهول إن كنتِ تودين معرفتي ضعي لي ردودكِ على رسالة وضعيها أسفل باب الجمعية عندما تأتي صباح الغد.. لا تكن ذاكرتك محدودة فنحن في الجمعية ما يقارب 200 رجل لن تستطيعين معرفتي.. إياكِ ومراقبتي.. من مجهول ما

- ركضت إلى تراتيل لنقرأ ما كتب في الرسالة

= هل لربما يكون جوان ذاته

- لا أظن

= بلى ظنّي

- لكنه جريء قد يأتي ويخبرني بذلك

= لا أعلم هل ستردين؟

- بالتأكيد لا

مضى يومين على هذه الرسالة لتعود إلى المنزل وتسقط من حقيبتها رسالة أخرى يكتب بها

- جودي عليّ برد منكِ.. لا تبخلي

رُدّي عليَّ وإن كان ردك نافياً

لا تدعيني لا أنام الليل.

ذهبت لتراتيل كالعادة

- ردّي عليه

= ماذا أكتب له؟

- الحقي بي لنكتب سوياً

جلبوا ورقة وقلم وبدأت طيف بالكتابة

- لم اتوقّع يوماً محادثتي عن طريق رسائل مليئة بالإحساس مصنوعة من ورق لكنْ لا بأس..

أنا شخص أحب الجرأة في كلَّ شيء فإن كانت نواياك خيراً لِتظهر وتُكلمّني وإن لم تكن لتفعل فسلاماً عليك اينما كنت.

ذهبتْ في الَّيَوُمَ التالي ووضعت له الورقة بجانب الباب كانت متشوقة لمعرفة الرد وهي خارجة من الجمعية اصطدمت بسيد جوان نظر إليها وهو مبتسم وكأنَّ ملامح وجهه تبان بأنه سعيد

-المعذرة!

= لا عليكِ سيدة طيف

مَضت وهي تفكر هل هو أم لا

أرادت التأكُّد نظرت إلى حقيبتها لم ترى شيء لتصل إلى المنزل..

خلعت ثوبها ليسقط من الجيب ورقة أخرى

أسرعت إلى منزل تراتيل

وأخبرتها بما جرى

- هل قراءتي الجديد؟

= لا

- اقراءيه إذاً

الرسالة:

سأكونُ جريئاً لَـكنْ عديني بأن لا ترفضيني وإن كنتِ غير موافقة ارفضيني بلين فأنا شخص مجروح ولا أريد جروحاً أوسع.. سأقول لكِ غايتي كي تعلمين..

إنني أحبك جداً في اللّـه وأريدك علـى سُنّة اللّـه إن كنتِ جاهزة لأرتدي الجرأة وأظهر بقوة

- ماذا ستكتبين له؟

= لا أعلم ..

- كيف عليه خطبتي كيف عليّ الموافقة على أنهَّ شخص غير معروف

= أخبريه لكل شيء

- لا أريد أنا أضعف من ذلك

= لا تودين معرفته؟

- بلى

= إذاً كوني قوية

- لأول مرَّة أشعر بالضّياع هناك شيء غريب

= ماذا!

- رسالة عطره تشبه رائحة الرسالة

= مَنْ؟

-جوان

= اكتبي إذاً

كتبت له كلمة واحدة وهي اظهر ووضعتها قبل أن تدخل.. إلى آخر

..... الدوام وهي تفكر من يكون؟

10دقائق لينتهي الدوام.. تك.. تك.. تك.. قُرع الباب

- تفضل

دخل السيد جوان صُعِقت حين رأته

- أهلا سيد جوان

- أريد التكلم معك

- بخصوص؟

= اسمعي

- تفضل

جلس على بعد منها قليلاً

- ماذا تتوقعين نظراتكِ تتكلم؟

= ما الخطب؟

- ألا تريدين؟

= ماذا؟

- أن أظهر

صُعقت من تلك الجملة وبدأت تتلعثم

= هل هل أنت صاحب الرسالة؟

- ابتسم: المجهول ذاته.. أجل

= لما كنت تحادثني عبر

قاطعها وقال: لا أحبُّ المحرّمات

- إذاً

= أريد خطبتكِ علـى الفور لَكنْ ليس قبل أن أروي لكِ قصتي

- وأنا كذلك الأمر

= من يبدأ

- أنت

= لا بل أنتِ

- أنت أولاً

ابتسم وقال: أمركِ

أنا جوان لم أروي لأحد قصتي قط لَكنْ حين أردت أن أبدأ حياة مع أحدٍ جديد وجدتكِ في وجهي

= أكمل

- توفي أبي وأمي نتيجة حادث على الطريق سفر لقد كنتُ الوحيد الحي بينهم.. أخذتني عمتي بضعة أيام لَكنْ زوجها لم يقبلْ أن أعيش معهم.

لتأخذني بعدها إلى دار الأيتام تجاوزت الثلاث سنوات في الدار لتأتي إليّ إحدى الفتيات وتقوم بتبنيتي.. لقد كانت فتاة عزباء لديها الكثير من الأموال ووحيدة ديانتها مسيحية لقد أطلقت عليّ اسم جوان ربتني جيداً وكانت تحبني كثيراً لم تبخل عليّ بشيء أصبح عمري 15 عاماً لتخبرني بكل شيء حتى أنني سألتها يوماً لما لا تعلميني أمور الدين المسيحي طبعاً أجابتني سأنتظرك حتى تبلغ 15 أقل شيء وتختار أنت إلى إي دين تنتمي نظرت إليها

- لماذا

= لا أفرض عليك شيء مقابل أنني كفلتك فقط

ذهبت حينها إلى دار الإيتام بعد ما وضعتني في حيرة كنتُ أحاول أن أجد عمتي لَكنْ لا جدوى من ذلك عدت إلى مربيتي أذرف الدموع

- هل أكون ناسي للمعروف خائن للحظات.. حينها سمعتني لتقول:

= لا مهما فعلت

- لن تتخلي عني؟

= لم أتزوج لأنجب لكنك أنت فلذة كبدي لا تحزن مهما فعلت

- أريد أن أعود لدين والداي الذين ذهبوا

= لا عليك لَكنْ لا تتركني فلا أحد لي غيرك

- لا تقلقي لا عليكِ أحبك گ كل أشيائي

وفعلا ذهبت ليكون المسجد مسكني تعلمت أمور ديني وفرائضي وكل شيء.. أصبحت أزورها يومياً وأجلب لـها الطعام كانت غالية جداً لقلبي كانت أحبَّ أشيائي

بدأت طيف تذرف الدموع.. أكمل ماذا بعد:

- أصبح عمري يتجاوز العشرين.. لأفقدها

= ماذاااا؟ كيف؟

- أجل لقد توفّت

= بماذا؟

- كانت مريضة قلب ولم تقل لي علمتُ بعد وفاتها بأنها تضغط على نفسها لا تتناول الدواء ليتوقف قلبها فجأة لأكتشف بعد فترة من الزمن بأن كل شيء من أملاكها كانت تضعه باسمي.. قررت العيش وحدي وها أنا الآن

- لماذا تستحي من نفسك؟

= أخشى أن أُجرح مرة أخرى لقد تحملت الكثير.. أروي لي قصتك أنتِ أيضاً

نهضت طيف

= لا أرجوكِ لا تذهبي

- لن أذهب سأروي لك قصتي غداً.. تعبت جداً

- لا.. أفضل اليوم

جلستْ طيف وبدأت تبكي أمامه وتخبره بكل القصة..

- توفي والدي و.....

مضى بضعة دقائق وهي تتلعثم مرة وتبكي مرات..

= كم أنتِ عفيفة.. أدركتِ وكنتِ ذكية في الاختيار

مسحت دموعها ونهضت: عليَّ الرحيل

- كيف عليّ خطبتكِ؟

= لا مانع لديك من أكون هاربة؟

- أنتِ هاربة من الفتن ناضجة بين الضلال هل سأكون غبياً لأفكر في هُذآ الأمر؟

= حسناً سأخبرك غداً إذاً

وذهبت.. عادت إلى منزل تراتيل تروي لـها ما حدث.

(عقد قراني)

- لا عليكِ يا طيف فليأتي إلى أخي عبدالله

= لم أفكر في هذا

- وجدت لكِ الحل لم تكن لمعقدة

= وبالفعل جاء جوان إلى عبدالله وتمَّ عقد القران كانت طيف في قمة الروعة جميلة الثياب والمظهر.. عيناها تبرق گ برق النجوم وابتسامتها الساحرة عالم ثاني اما فستانها كأنه من حرير وإستبرق.. جلسا معاً لينظر إلى عينيها ويقول:

- لقد فزت بكِ وأخيراً

= هل تظنني جائزة؟

- للمجتهدين فقط

= شجاع؟

- أنتِ من جعلني هكذا

صمتا قليلاً ليقول لـها

- عُقد قرانِ قَلبـي على قلبك لتكوني لي وحدي لربما الظروف كانت

صعبة لتجعلنا في قلب واحد

= مبارك لنا إذاً

- مولاتي

ابتسما معاً ثم نهض: عليّ الرحيل

= ابقَ

- لا يجب أن أذهب

= حسناً

ذهب جوان لتركض طيف إلى أقلامها وتبدأ بالكتابة

- هل سأعتبر بأن جوان فرج لنهاية حياتي التعيسة أن يكون روحي الثانية وعيني الثالثة.. هل سيكون لي سنداً هل سيعوضني عن كل شيء هل سيكون صديق أفكاري.. هل ..!هل ..؟؟

أعاهدك على أن أكون سندك وحبك الأبدي أعاهد أن أكون روحك وباقي أيامك أن أكون وطناً آمناً لك.. زوجة وحبيبة وصديقة وأخت وأم وكل العائلة لكَ وحدك..

سأضعك في عيني.. سأكون بلسم شافي لجروحك وبيت أسرارك.. ورأس مالك.. سأعيش معك أنتَ في كل الأوقات.. جوان كان دعائي دائماً ألا أجبر علّى أحد بغرض الستر..

لم أتوقع عوض اللّـه بك.. أتيت إلى قلبي بطريقة أعجبتني وملكت قلبي..

ليصلها رسالة على الهاتف..

تركت لكِ رسالة عند زوج تراتيل خُذِها الآن

ذهبت لتقرع الباب علـى تراتيل وتأخذ رسالتها عادت إلى المنزل وجلست لتقرأها..

- عزيزتي والآن اصبحت الرسالة من جوان وليس مجهول.. بحثتُ عن حقيبتكِ لَكنْ لم أرها فوضعت الرسالة عند تراتيل، الَّيَوُمَ عقد قراننا لترتبط قلوبنا ببعضها بخيوط صنعت من أوردة القلب تتشبث ببعضها لن تتمزق أبداً سأكسوها من حُبنا وأسقيها من عشقنا ولتكن رابطة لا تنتهي.. طيف في كل مرة كنت أنتظر إليكِ أحبك أكثر لَـكنْ كنت أخشى رفضكِ، أعدكِ سأكون جبلكِ الذي تتكئين عليه سبب ابتسامتكِ وروحكِ وأفكاركِ سأحبك وأحبك وسأبقى أحبك.. إلى آخر نبض في عروقي، طيف لن تكوني سوى من عشقتْ رجل صُنع من الرماد لتكوني سبب نجاته سبب عيشه.. أنتِ دواء أنتِ غذاء لروحي.. أعدكِ أن أكون العوض لكل شيء أن أكون حلمك أن تكون أهدافنا هي إسعادك ألا أرى دموعكِ أن أبقى سندكِ.. جوان يحبك.

حينها شعرت طيف بأن روحها الجافة قد ارتوت من حبها له وأنّ وجهها تورد حين رأته كلماته كانت بلسماً لجروحها استعادت روحها أيعقل بأن عوض من ربها بعج صبرها فعلاً تستحقُّ ذلك إنها طيف..

(ذرية الشقيقة)

قُرع الباب لتكون قد شعرت به نظرت إلى الجدران بعدما استيقظت ونهضت لتصرخ بصوتها

- منْ؟

- تراتيل

فتحت الباب

- تفضلي

كان وجه تراتيل ليس گ عادته يُرْسم على وجهها ابتسامة مكبوتة ووجنتاها حمراء تدمع زاوية عينها تشعر وكأنها كادت أن تبكي

- ما الخطب؟!

تراتيل تضمُّ طيف وتنهمر بالبكاء

- ما الخطب يا تراتيل ماذا جرى؟

تراتيل بصوت مرتجف: سأصبح أماً يا طيف

صرخت طيف: تمزحين!

- لا وجلالة اللّـه

كانت لحظات أشبه بقدوم النور عليهم لقد كانت متزوجة منذ عامين ولم تنجب مشيئة اللّـه تنقذ ذبولها دائماً كانا يذهبا معاً ليجلبوا ثياب الطفل وكانت عيونهم تدمعُ فرحاً إنها لحظات أشبه بالماء بعد سنين عجاف ليكن العوض عند الله آتي

.

(شهور 9)

استيقظت طيف علـى أصوات صراخ تراتيل لتركض مسرعة وتسقط على ركبتيها وتنهض ومن ثم تتجه نحو الباب لتري هل هو صوت تراتيل تفتح الباب ليقول زوج تراتيل

- طيف الحقي بنا إلى المستشفى تراتيل في خطر

لم تتوقع طيف ما قاله وكأنها صاعقة ضربت عقلها ذهبتْ لترتدي ثيابها وتركض بسرعة وكأن النار تلاحقها وصلت لتدخل المستشفى لترى زوج تراتيل يجلس على الأرض واضع يديه ع وجهه وكأنه يُناجي اللّـه

طيف: ما الخطب؟؟

- إنها في الداخل آمل أن تكون بخير لَكنْ الطبيب يقول إنها بخطر

كنا نقف أنا وعبدالله وآدم نضجُّ بالدعاء لـها قلوبنا ترتجفْ تريد فقط الاطمئنان على تراتيل تتداول جملة يا رب بيننا نكاد نسقط من خشيه ما يحدث..

بعد تصارع دقات القلوب گ حرب أعلنت النهاية لتخرج الطبيبة وكأنها ترفع راية السلام قائلة:

- الحمد لله علـى السلامة

كان شعور غريب وكأن أحدهما سكب الماء البارد على رأسي أحمد الله علـى السلامة

آدم: هل أنجبت؟

- نعم، أنجبت طفلاً شبيه بالقمر في يوم ال 14 الهجري الحمد لله على سلامتها ومبارك لكم

مضتْ الطبيبة لتخرج الممرضة بيدها طفل وجنتاه حمراء وشفاهه كأنه توت ناضج يحرك جسده رويداً رويداً جسده غض جميل يأخذ القلب والعقل.. ابن الشقيقة

- يا اللّـه تبارك الرحمان وما شاء اللّـه يا لك من جميل عزيزي.

ابن الشقيقة.

(زواجي منه)

جوان: متى؟! نحدد موعد زواجنا؟

= لا أعلم

- من يعلم إذاً؟

= أنت

- ما خطبكِ؟

= لا شيء

- ما رأيك موعد الزفاف بعد أسبوعين؟

- هل يناسبك؟؟

- صدقيني يناسبني في كل الأوقات في كل اللحظات لا عليكِ

سوى البقاء معي

ابتسمت طيف: حسناً

مضى أسبوعين على تجهيزات موعد الزفاف طيف ليكون جوان أسعد الأشخاص بها.. حان موعد الزفاف لتكون طيف ملكة جوان في ليلة تكلل بها الحب.. توقفتْ طيف أمام منزلها لتنظر إلى عيناه قائلة:

- لقد فعلناها لنكون في منزل واحد علّى وسادة تجمعنا

أجاب: أجل مولاتي

دخلت طيف إلى منزلها تنظر من حولها قال لـها:

- تتوجتِ ملكة لمملكتي

أكملت مسيرها

- ستكون مِلكي ومَلكي وتاج رأسي

نظرت للمنزل لتعطي زفيراً بعد شهيق طويل:

- جوان

= عيناه

- هل نصلي؟

= بالتأكيد

وقفت لتقول: نويت أن أُصلي مقتدياً

بدأت بالصلاة ومع كل كلمة اللّـه أكبر كانت تروي صحراؤها الجافة..

فعلاً إن الوثوق بالله رياً لقلوبنا....

وفي الَّيَوُمً التالي..

استيقظت طيف لتحضر الطعام لـها ولجوان ذهبت إليه

- جوان انهض للفطور

= في الحال في الحال

- هيا

= سـأنهض

تناولا الإفطار سوياً

جوان: عليّ الذهاب

= هل ستعود متأخراً؟

- لا عزيزتي سآتي بعد انتهائي

= حسناً

مضى جوان.. لتصل رسالة إلى هاتف طيف من جوان تركتُ لكِ رسالة تحت الوسادة أسرعت طيف لطالما اعتادت أن تستمع لكلامه المعسول..

- صباح الخير يا صاحبة الوجه الجميل.. أردت إخباركِ بأني أحبكِ جداً وأخشى فقدانكِ أصبحتِ من ضلعي يا مولاتي.. سأخبركِ بأن وجنتاكِ گ التفاح ناضج.. سحرتني ملامحكِ.. حتى وأنتِ نائمة تهرولين النبض في عروقي.. هوني عليَّ جمالكِ لأكون عند حُسن حبكِ.

كانت بداية لصباح جميل ابتسامة طيف.

طيف كانت شاهدة على بعثرت نبضها فرحاً.. تستحقينَ

(اعترفت بذلتي)

مضى 4 شهور على زواج طيف كانت أكثر الناس فرحاً تضجُّ بالضحك معه كان سعادتها.. كان عوض لـها.. لَـكنْ.. ألا يكون هناك شيء خارق للعادة؟

جاء جوان وقف أمام طيف بعيون تلمع وكأنها تدمع بوجه شاحب وكأنه نادماً على كل شيء كان يظهر على وجهه شيء غريب

- ما بك يا جوان؟

تلعثم بالكلام = أحبكِ

- وأنا لَكنْ ما بك؟

= طيف أردت أخبارك بشيء

- قل

= الاعترافات أحياناً خير لنا من الكذب من التلاعب خير من

الاستمرار

- جوان قل ماذا فعلت

= قبل أن أقول لك شيء سأقول لكِ بأنني أحبك جداً

صرخت طيف به

- ماذا فعلت؟

-لالا تصرخي حديثي يريد بعض الهدوء اجلسي

جلست طيف وفي عيناها حمم بركانية تقذف من تكرارها.

- كنت شاباً مراهقاً يبحث فقط عن الفتيات حتى صادفت واحدة منهم

أعجبت بها وكانت جزء مني ذهبت لخطبتها في المرة الأولى

رفضني والدها وبعد الإلحاح عليه وافق تمت خطبتنا 5 شهور

متتاليات.. بعد فترة من الزمن تزوجنا.. في الأيام الأولى من زواجنا

اكتشفت بأنها عاهرة لَـكنْ كنت أخشى ظلمها ليكون الخطأ طبياً مثلاً راقبتها فصُعقت حين علمت بأنها سلعة للبيع والشراء فطلقتها على الفور ولحسن الحظ أنها لم تحمل او تنجب مني لكنها كسرتني..

مزقتني ماذا على قلب أحبها ليدرك بأنها خائنة كانت طعنة مميتة في صدري بعد عام علمت بأنها تزوجت وسافرت إلى نيوزيلندا ولا أعلم ماذا جرى بعدها

- لما لم تقل لي أنك متزوج

= مطلق

- لما لم تقل؟

= كنت أخشى أن أفقدكِ

- كاذب

= واللّـه أني لا أكذب

- أغرب عن وجهيي.. اذهب

= طيف

- أغرب لا أريد أن أراك

= هكذا تعاملين من يصدق معكِ

- كاذب أنت كاذب هذا الكلام يجب قوله من قبل زواجنا وليس الآن اذهب.

لا أريد رؤيتك.

ذهب جوان لتضع طيف يداها على وجهها وتبكي.. تبكي كما لو أنها فقدت شيء ما.. لتذهب إلى تراتيل وتخبرها بما حدث

- هوني عليكِ ليست بمشكلة إنها قصة قديمة

= لا لقد كذب ولا ثقة تدوم إذا جلس الكذب بيننا

- لا عليكِ يا طيف كفاكِ بكاءً

لقد حاول مراراً وتكراراً جوان أن يبرر لـها لَكنْ لا جدوى

تدخل موظفة إلى غرفة طيف

- الأستاذ جوان ينتظرك

نهضت طيف وذهبت إلى جوان.. دخلت إلى الغرفة ووقفت دون تكلم

- أنارت الغرفة بضيائك الساحر

= ماذا تريد؟

- أن أرى وجهكِ.. اشتقت لكِ

= عليّ الذهاب

- طيف

= ماذا

- ألم تشتاقِ؟

= لا

أكملت مسيرها نحو غرفتها لتعود وتنهمر بالبكاء تندب حظها وتقول

- أعشقه بكل تفاصيله أحبه حب العاشقين حب الظامئ للماء لما يكذب واللهِ إن مشكلتي ليست بذلته فكلنا غير معصومين عن الخطأ... لَكنْ لا أرغب في حبه كاذباً لا أطيقه كاذباً، أغمضت عينيها وكان ثقل الدنيا على عاتقها.. ارحمني يا الله.. دلني.. أرشدني عادت إلى المنزل كانت تحضر له الطعام وتذهب إلى غرفتها ولا تخرج منها إلى الَّيَوُمً الثاني.

مضى أسبوعين ليعاد نفس الأحداث..

الموظفة: أنسة طيف الأستاذ جوان بانتظاركِ

دخلت طيف إلى غرفته: ما الأمر؟

- اجلسي

= ما الأمر؟

- أستاذكِ يقول لكِ اجلسي

جلست طيف تنظر إليه نظرة حادة

- آنسة طيف هناك امرأة مسنة بحاجة لمن يسمعها أردت أخبارك

بأن تكوني أنتِ مرشدتها التي تسمع لـها ما رأيك؟

= ما قصتها؟

- لم تروي قصتها أبداً.. كلما كُنّا نسألها كانت تنهمر بكاء فأردت أن

تكوني مفتاح باب قلبها المقفل

- لا بأس.. حتى ألقاها؟

= غداً

- حسناً.. هل تريد شيء آخر أستاذي؟

ابتسم قائلا: أجل

= ما الأمر؟

- أريد معانقتكِ

نظرت إليه: لا تستحق ذلك

= لما؟

- من كذب مرة يكذب مرات أليس كذلك؟

- أنا لم أكذب

= بلى

- وعزة اللّـه لم أكذب كنت أخاف كبرياءك فقط

= سأحاول تصديقك عليّ الذهاب

نهضت وخرجت على الفور دون أي كلمة أخرى

(قصة)

جلست طيف مع العجوز تنظر إليها وكأنها ترى الحزن بعينيها كانت زابلة العيون.. الشحوب غطى وجهها تجاعيد كادت أن تخفي ملامحها.

- طيف: إن قلنا أننّا أصدقاء فهل ستقبلين

= لا

- لما؟

= لا أطيق ذلك

- حسناً.. وإن قلت لكِ أنني أحاول أن أفرج من حزنك هذا

= لن تستطيعين

- لما؟

- ارتكبتُ الذنوب التي لا تغفر

- واللّـه رحيم

= ليس لهذا الحد

- بلى وأكثر مما تتوقعين

= من تكونـي؟

- المرشدة النفسية طيف

= أرجوكِ لا تحاولي

- كوني لينة معي كي نجد الحل

= عديني أن لا تفشي سري

- أقسم للكِ فأنا بيت أسرار الجميع

= سأروي للكِ لَـكنْ لا تعاتبي ولا تقولي شيئاً

أريد أن أروي للكِ قصتي لأحاول أن أرتاح فأنت متعبة

- سنتخلص من هذا سريعاً لا تخشي شيئاً

= ستكونين معي؟

- دائماً

= متى ستأتي؟

- حين تحتاجي

= هي سنبدأ الآن؟

- متى تريدين

= الآن

- ابدئي إذاً.. كلي آذان صاغية

= طفلة.. مدللة.. تلعب بين العشب يومياً.. لا تمل أبداً تعشق والدها إلى حد السماء كلما أرادت شيئاً أصبح بين يديها كنت مختلفة عن الأطفال فلن يكون لي شبيه بالدلال أتفهمين؟

- أجل.. استمري

= جاء الَيَوُمَ الذي جعل من والديَّ جثث هامدة.. أتعلمين كيف حصل هذا؟

- كيف؟

= قتلهم أحدهم.. قتلهم.. واللّـه قتلهم..

- من؟

= كانت الشرطة تخبرني بأنهم لم يتمكنوا من إيجاده

- لما؟

= لا أعلم سوى أنهم رأوهم على طريق لا أحد به ملقيين أرضاً

- ماذا فعلتِ؟

= حاولتُ العثور على القاتل

- هل وجدتيه؟

= سأكمل

- حسناً

= كانت الصدف تساعدني لكي أجد القاتل.. لَـكنْ يئست من ذلك الأمر.. حتى بدأت أشعر بالجوع من الفقر.. أحدهم جاءني بعمل عند شاب ثري جداً يريد خادمة له ولزوجته في قصره

- ماذا فعلتِ؟

= قبلت أن أعمل

- ماذا كان اسمه؟

= صدقني لا أذكر جيداً

- حسناً أكملي

= كان قصره مليء بالأشياء الثمينة.. كلـه لقد كان كل شيء علـى ما يرام لَـكنْ

- ماذا؟

=كان عليّ السكوت دائماً مهما فعل.

- ماذا كان يفعل؟

= كان يشرب الخمر كثيراً يأتي إلى المنزل ليلاً بصحبة إحدى الفتيات حتى أنه كان قذر جداً أذكره جيداً كنت أخشاه جداً.. أقفل باب غرفتي ليلاً هناك الكثير من الأشياء الغريبة في بيته

- مثل ماذا؟

= كنت أسمع صوت صراخ زوجته دائماً كانت مظلومة لَكنْ كان يحذرني بأن لا أقول لأحد هذا أو أن أفتح الباب حتى

- ولم تحاولي مساعدتها؟

= لا كنت أخاف أن أفقد عملي فقد كان أجري مغرياً جداً

- ماذا فعلتِ إذاً؟

= لقد خدمت قصره طويلاً.. لكني لم ألمح زوجته أبداً

- كيف ذلك؟

= كان يحبسها داخل الغرفة دائماً حتى استيقظ

- ألم يكن هذا يراودك للفضول؟

= أجل وكثيراً حتى أنني في يوم من الأيام انتظرته ليخرج إلى عمله ووقفت خلف الباب

- سيدتي؟ أجابت امرأة

- من أنتِ؟

= خادمة القصر

- ماذا بك؟

- أأنتِ بخير؟

= أريد الخروج

حاولت فتح الباب لَكنْ لم يفتح حتى كان مقفل جيداً كنت اتحدث معها دون رؤيتها

- هل وصلتي لحلول؟

= لربما

- أكملي

= خدمت عنده ما يقارب السنة دون رؤية زوجته كنت أحاول لَـكنْ لا فائدة من ذلك

- هل أطلب طلباً؟

= بالتأكيد

- هل أكمل لك غداً؟

= بالتأكيد عزيزتي لَـكنْ لماذا؟

- تعبت.. تعبت أحاسيسي جميعها

= حسناً لا عليكِ سنكمل غداً

نهضت طيف وعادت إلى منزلها كان الشرود قد أخذ عينيها حتى أنها دخلت غرفتها واستلقت وهي تفكر ما القصة ما الحلول؟ قُرع جوان الباب

- طيف هل أحادثكِ بصفتي أستاذك؟

فتحت الباب: تفضل

جلس ينظر إليها..

- ماذا حدث مع العجوز؟

طيف روت له ما قالته العجوز ومازال فضولي يعمل حتى الآن..

- لا عليكِ ستعرفين فيما بعد

صمتا قليلاً

- طيف

= نعم

- ألم تغفري بعد؟

= لا

- واللّـه إن اللّـه يغفر فمن أنتِ؟

= إذاً طلب من اللّـه المسامحة عن الكذب

= وأنتِ؟

= سأحاول

ابتسمت ابتسامة تشير إليه أنها مسامحة له

- هل تحبينني؟

= أجل لَكنْ ليس عندما تكذب

- واللّـه إني أحبكِ أكثر

= لا أعلم فالله من يزرع المحبة بقلوبنا

(تحليل كلام)

في الَّيَوُمَ التالي

- العجوز: إلى إين وصلنا؟

=عندما كنتِ تخدمين عنده سنة كاملة دون رؤية زوجته

- أجل.. أجل جئت إليه أسأله لما لا تخرج زوجتك من الغرفة ليصرخ في وجهي لا شأن لكِ وقد كان يهددني بأنه سيطردني إن عاودت السؤال ذاته..

- ماذا فعلتِ إذاً؟

= كنت أحاول البحث دون أن يدري حتى أنه خرج يوماً من الغرفة ويداه ملطخة بالدماء وحين ركضت إليه وهو يغسل يداه أقول له:

- ماذا يجري؟

ليجيب بكل بساطة

= رفعت صوتها في وجهي

نظرت إليه باستغراب: فماذا فعلت؟

- كانت تستحق الضرب المبرح

شهقت قائلة: هل ضربتها؟

= أجل او لربما قتلتها

خرج من القصر ليعود بصحبة الطبيب وقفت خلف الباب سمعت الطبيب يقول

- لا يجب عليك القيام بهذا

أجابه: لا شأن لك أكمل عملك وخذ اجرك واغرب عن وجهي

وبالفعل خرج الطبيب لاحقته لباب القصر وقلت له

- من في الداخل وهل تأذت كثيراً؟

= زوجته نعم لقد خرج الدماء من رأسها كثيرا لقد ضربها بقارورة العطر

- هل ضمدت لـها الجرح؟

= أجل

وذهب....

كنت أخاف.. أخاف جداً إنه مجنون فعلاً

- لم تحاولي مساعدتها؟

= لا كنت أنانية جداً أطمعنِ المال يا لي من وغدة

- أكملي

= لقد أصبح مقرب جداً بالنسبة لي

حتى أنه أصبح يروي لي قصصه كلها أخبرني عن الكثير من حياته فسألته عن زوجته ليقول لي.

بأنها امرأة اشتراها بماله لم أفهم حتى أوضح لي بأن أختها تكلمت مع صاحب منزلها ليرفع الإيجار عليها وحين أكلها الفقر اتصلت بأختها لتقول لـِها بأني أرغب بها مقابل دفع ثمن منزلها وأنها ستكون ملكة معي وافقت على ذلك حتى أنه أخبرني بأن أختها نالت الكثير من المال مقابل أن يأخذ أختها فعلاً قد كانت أختها وغدة اللعنة عليها..

- ماذا جرى بعدها؟

= أخبرني بأنها أصبحت دمية يضربها أو يحبها أو يفعل بها ما يشاء يطعمها حتى ما يريد

- ماذا أيضاً؟

= جاء الوقت الذي أذنبت فيه ذنباً

حينها كانت تذرف الدموع من عينيها وكأنها نادمة على كل شيء

- ماذا فعلتِ؟

= اتفق معي على أن أغلق الأبواب كلها يريد أن يستمع لـها وهي تصرخ تحت يداه كان يعرض عليّ ثمن باهظ جداً وفعلاً فعلتُ هذا أغلقت الأبواب بعد دقائق أسمع صوتها وهي تصرخ كاد قَلبي يخرج من مكانه صوتها يضج بكل أنحاء المنزل هل تصدقين بأنني سمعت صوت العصا تطرق على ضلوعها

- ما كان ذنبها؟

= قال لي لا تسمع الكلام لكنه حتماً مجنون

- هل تصدقيه؟

= طبعاً لا

- أكملي

= تصرخ وتصرخ حتى خرج من الغرفة خلع قميصه وجلس وكان وجهه قلق جداً وجسده مرتعش علامات الزعر تظهر ترك الباب مفتوحاً دخلت إلى الغرفة كانت مستلقية على الأرض العلامات الزرقاء تظهر على جسدها جلست بجانبها لتنطق بكلمة واحدة تركت لكِ رسالة تحت الباب ثم همدت جثتها وسكنت وضعت يدي على رقبتها لم أشعر بنبض أبداً زعرتُ من الموقف واتجهت إلى الباب رأتْ الرسالة

عزيزتي لربما أنتِ وغدة جداً أعلم هذا وغبية أيضاً لا تعلمي بأن من تخدمينه بحث عنكِ ليضعكِ تحت جناحيه أنتِ خصيصاً لأنه من قتل والدكِ وخشي أن تعلمي فوضع المال أمام عينكِ حظ اوفر لكِ أيتها الجشعة وداعاً.

- أذكر الرسالة جيداً أكاد أنسى اسمي ولا أنساها كانت ملامسة لعقلي

خرجت من الغرفة ووقفت أمامه

- ماذا فعلت؟

= لا أعلم

صرخت به: لقد ماتت!

- أعلم

= يا لك من وغد ماذا سنفعل؟

- لا تصرخي وإلا وضعتكِ جانبها اجلبي ليّ القهوة

ذهبت للمطبخ وفعلاً جلبت له القهوة ووضعت له سماً داخلها

احتساها نصف ساعة لأراه أرضاً يصرخ من وجعه يشد جسده

ويحاول لا يستطيع الحركة جلست بجانبه بدأ الزباد يخرج من فمه

قلت له:

- خدمتك كثيرا دون معرفة بأنك قاتل والداي بحثت عنك لأقتلك بيديَّ حقاً لم أكن أريد أن الطخ يداي بقذارتك اخترت السم ليقتلك وداعاً أيها القذر

هربت من القصر أنام بالحدائق سمعت بعد عدة ساعات بدأت الناس تتداول خبر موتهم

- لم تكشفين

= بلى

- سجنت عدة سنين ثم خرجت من السجن

= كيف؟

- أثبتت براءتي

= كيف؟

- بالدفاع عن النفس

= لا يحق لكِ

- بلى يحق لَكنْ لا حرية لي وضعوني في هذه الجمعية

صمتا قليلا لتقول لها: نـَسّْيـت إخبارك بشيء

= تفضلي

- قبل أن أخدم بالقصر فرت هاربة ابنة الزوجة

نهضت مذعورة: أكملي لماذا؟

= لأنها رفضت الزنا

- ماذا فعل بعدها؟

= لقد زنت أمها بعدما هربت

= تذكري الآن

- ماذا؟

= ما كان اسمهم وأين كان القصر؟

- القصر في شمال المنطقة أذكر أن الرجل كان يسمى تميم على ما أظن

= صرخت طيف وهي تذرف الدموع: يا إلاهيي وزوجته؟

- أظن أنها تينا او تينا

حينها كانت طيف أن تفقد عقلها وتصرخ:

- أمي إنها أمي يا اللّـه ماتت زانية كافرة لما يا اللّـه

ركض جوان ووقف أمامها

- ماذا جرى يا طيف؟

بدأت تضرب على أكتافه بقبضة يديها وتبكي مستهترة

- جوان أنا ابنة امرأة زانية كافرة.. جوان أمي ماتت كافرة زانية اللعنة على تميم اللعنة على ديلا اللعنة عليهم جميعاً

مضى على حالها ما يقارب الساعتين وهي تصرخ وتبكي لينتهي بها الحال على سقوطها أرضاً.

ركض بها جوان مسرعاً وامتلئ المشفى بالأشخاص تراتيل وزوجها وعبد الله وكل من يعرفها قال لهم الطبيب بأنها متعبة جداً فتحت عيناها نظرت حولها لترى الطبيب

- طيف هل أنت بخير؟

= لما استيقظت لما يا ليتني مت...

- لا يجوز هذا الكلام يا طيف اصبري أنت تعلمين ماذل يأتي بعد الصبر

= ونعم بالله

- هل أنادي لكِ أحد؟

= لا لا أريد رؤية أحد

- أمرك

خرج الطبيب ركضوا عليه جميعاً

الطبيب: هي في حالة مستقرة ولكن تطلب بأن لا ترى أحداً

تراتيل: عليّ الدخول

- لا تريد

= سأحاول

وقفت تراتيل بجانب الباب قائلة:

- أترفضيني أنا أيضاً وهل اتفقنا على أن نكون أشقاء

انهمرت طيف بالبكاء: تعالي إذاً لحضن شقيقتكِ

ركضت تراتيل وجلست بجانبها تقبلها وهي تبكي: طيف لا أريد

رؤية عيناكِ تبكي

- أتعلمين أنني لا أصدق أنا ابنة كافرة زانية كنت أبحث عن الحقيقة

طوال الوقت يا ليتني لم أعرف هذا هل سيغفر لـها اللّـه.

= جوان يريد مقابلتكِ

- لا أريد رؤية أحد أرجوكِ

= ليس لدي قلب لأخرج واقول له بأنكِ لا تريدينه يحبك يا طيف

تقبليه بعيوبه بزلاته أخشى على مشاعره لا أريد جرحه

مضى 5 أيام وطيف بدأت تتحسن تدريجياً وكانت في كل مرة ترفض رؤية أي أحد تجلس مع الطبيبة النفسية لتحاول الخروج من حالتها وتقبل الحقيقة..

جلست تراتيل معها فقالت لـها طيف: ألم يشتاق؟!

- بلى بل كاد يقتل نفسه شوقاً وانتِ لا تريدين رؤيته

= حسناً قولي له بأن ينتظرني في المنزل لا أريد البقاء هنا

لا أريد البقاء هنا

- هل أصبحتِ بـّخـْير؟

= الحمد لله

قالت تراتيل لجوان بأن ينتظرها في المنزل خرجت طيف من المستشفى واتجهت للمنزل دخلت بصوتٍ هادئ حتى أن لأقدامها لم

يسمع صوت رأته يجلس على الأريكة يضع يداه على وجهه ينظر للساعة مرات ومرات وبعدد الدقائق نطقت بهمس:

- واللّـه أن لشوقي حرية تغلب على كبريائي فأعود نظر إليها ونهض وعيناه تبرق وترتجف: لم أفهم هل..

قاطعته

- يسامحك قلبي دائماً في كذبك وزلاتك ويعطيك الفرص فقط لأنه يحبك

ابتسم وقال: تعالي إذاً

اقتربت رويداً رويداً لتضمه ضمة قوية وتقول

- لم يبقِ لي سواك بعد اللّـه وانهمرت بالبكاء

شعر جوان بارتجاف جسدها الذي كان يخالط البرد والحر معاً

كانت تتعرق رغم برودة جسدها نظر إلى عيناها

= كفاكِ حزناً كفاكِ أنا معكِ دائما واللّـه يحميكِ

- جوان عدني عدني أن تبقى بقربي عدني أن تكون سندي عدني ألا تريني بأساً عدني ألا تجرحني

- إنكِ بلسم لجروحي فكيف لي أن أخذلكِ

صرخت بوجهه: لكنك كذبت

ابتسم وقال: كفاكِ غيرةً كفاكِ كبرياء

نظرت إليه وقالت:

= إني أغارُ عليك من نسمة لامست وجهك فهل أغفر لزلاتك

- واللّـه لو علمتُ بأنكِ نصيبي لبحثت عنكِ منذ ولادتي لكني لم أعلم

= جوان

- عيناه وروحه

= هل ستتخلى؟

- وعزة اللّـه لن اتخلى ثقي مجدداً وكوني كريمة العطاء

= ستحبني؟

- وإني أحبك حب العاشقين حب الروح للتوبة حب العبيد للعتق حب الطائر للحرية حب الجائع للطعام حب الظامئ للماء

= ومن أكون بنظرك إذاً؟

- مولاتي.. جائزتي من الدنيا

سقطت دموعها على وجنتاها

= لم أكن ابنة الزانية الكافرة إذاً

- لا لن تكوني أبداً لا شأن لي بالماضي أنا ابن الآن يكفيني أنكِ بين يداي لي وحدي ومعي جوهرتي وطفلتي وعالمي وإليكِ أنتمي وبلسمي وأيامي حتى عيوبكِ أراها جوهراً لا تبالي فلا شأن لكِ بماضيكِ وأنتِ عفيفة لم ترتكبِ معصية أنتِ روح قدسية طاهرة گ

كَلَّمـات القرآن لا ينطقها إلا المطـهرون لا مثيل لكِ فهل أنا غبي لأفقدكِ..

أعاهدكِ عهد اللّـه أن تكوني كل شيء في حياتي

أمسكت يداه ونظرت إلى عيناه قائلة

= سنبقى معاً

- إلى الأبد مولاتي.

تمت الرواية

بقلمي: رولا كوراني